

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الوشكريسي تيسمسيلت



ISSN: 2571-9882

رقم الإيداع القانوني: مارس 2017

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

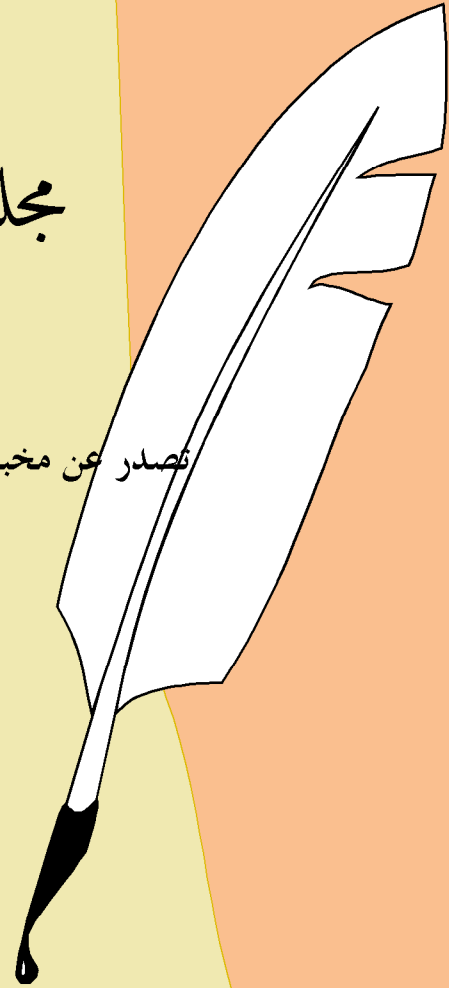
تنشر الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر

العدد 02 / جوان (حزيران) 2017

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الوشكريسي تيسمسيلت



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الوشريسي تيسمسيلت



ISSN: 2571-9882

رقم الإيداع القانوني: مارس 2017

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

تنشر الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر

العدد 02 / جوان (حزيران) 2017

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الوشريسي تيسمسيلت

ترسل المواد البحثية حصرا عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

www.asjp.cerist.dz

البريد الالكتروني للمجلة

dirassat.mo3assira@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أ.د. العتيقي أحمد

د.بن علي خلف الله

مدير المركز الجامعي تيسمسيلت

مدير مخبر الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة

الجزائر

المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر

رئيس التحرير:

د.فايد محمد المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.

هيئة التحرير:

د.مصايح محمد/المركز الجامعي تيسمسيلت.

د.فتح الله محمد/المركز الجامعي-

د.علي سحنين/جامعة معسكر/الجزائر.

تيسمسيلت/الجزائر.

د.عطار خالد/المركز الجامعي تيسمسيلت.

أ.رافة العربي/المركز الجامعي تيسمسيلت.

د.مرسلي مسعودة/المركز الجامعي-تيسمسيلت

أ.كمال الدين عطاء الله/جامعة حسية بن

د.طعام شامخة/المركز الجامعي تيسمسيلت.

بوعلي-الشلف.

د.شريف سعاد/المركز الجامعي تيسمسيلت

د.بولعشار مرسلي/المركز الجامعي-

تيسمسيلت/الجزائر.

الهيئة العلمية الاستشارية:

أ.د/مخلوف عامر/ جامعة طاهر مولاي-

أ.د/غربي شميصة/ جامعة جيلالي لباس-سيدي

سعيدة/الجزائر.

بلعباس/الجزائر.

أ.د/عقاق قادة/ جامعة جيلالي لباس-سيدي

د.فريد أمعشوشو/ الكلية متعددة التخصصات/

بلعباس/الجزائر.

الناظور/ المغرب.

أ.د/بلوحي محمد/ جامعة جيلالي لباس-سيدي

د.مجدي خضر الكردي/ جامعة القدس المفتوحة-

بلعباس/الجزائر.

غزة/فلسطين.

أ.د/عمار بن زايد/جامعة الجزائر

د.حنان يوسف/جامعة الاسكندرية/مصر.

أ.د/غني ضياء العبودي/جامعة ذي قار/العراق.

د.بن علي خلف الله/المركز الجامعي-

أ.د/مباركي بوعلام/ جامعة طاهر مولاي-

تيسمسيلت/الجزائر

سعيدة/الجزائر.

د.صباح لخضاري/المركز الجامعي النعامة/الجزائر.

د.علاوة كوسة/المركز الجامعي ميلة/الجزائر.

د.بولخراص محمد/جامعة ابن خلدون-

د.رشيد بلعيفة/جامعة عباس لغرور-خنشلة/الجزائر.

تيارت/الجزائر.

د.مكيكة محمد جواد/جامعة ابن خلدون-

د.بوعرعارة محمد/المركز الجامعي

تيارت/الجزائر.

تيسمسيلت/الجزائر.

د.بلمصايح خالد/المركز الجامعي

د.عطار خالد/المركز الجامعي تيسمسيلت/الجزائر.

تيسمسيلت/الجزائر.

د.هدروق لخضر/المركز الجامعي-

د.غربي بكاي/المركز الجامعي تيسمسيلت/الجزائر.

تيسمسيلت/الجزائر.

د. منقور صلاح الدين / جامعة ابن خلدون -
تيارت/ الجزائر.

د. مصاييح محمد / المركز الجامعي -
تيسمسيلت/ الجزائر.
د. فايد محمد / المركز الجامعي - تيسمسيلت/ الجزائر.

شروط النشر:

تتشرف الهيئة المشرفة على مجلة (دراسات معاصرة)، بدعوة السادة الباحثين من داخل الوطن وخارجه للمساهمة في أعدادها، وذلك بإرسال أوراقهم البحثية التي تدخل ضمن اهتمامات المجلة، مع التتويه بضرورة التزام شروط النشر وضوابطه المعتمدة والمبيّنة أدناه:

- تنشر المجلة الأبحاث ذات الصلة باللغة والأدب والنقد.
- يشترط في البحث أن لا يكون نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر، و يتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- تخضع البحوث للتقويم حسب الأصول العلمية المتبعة.
- يكتب البحث باستعمال برنامج Microsoft Word بصيغة doc أو بصيغة docx. وتكتب الهوامش في آخر البحث يدوياً.
- الخط عربي تقليدي حجم 16 للمتن، و 14 للإحالات.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20.
- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، ويتسلسل منطقي.
- يقدّم الباحث ملخصاً وكلمات مفاتيح باللغة العربية والانجليزية.
- لهيئة التحرير حق إجراء تعديلات تتعلق بالإخراج الفني النهائي لمواد المجلة.
- قرار هيئة التحرير بقبول إحالة البحث إلى المحكمين أو رفضه مباشرة قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها بعدم إبداء الأسباب.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة.
- يزود الباحث بنسخة PDF من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- ترسل المواد البحثية حصراً عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

www.asjp.cerist.dz

كلمة رئيس التحرير:

يسر أسرة مخبر الدراسات النقدية والأدبية بالمركز الجامعي تيسمسيلت أن تواصل في حركية دؤوبة نشاطاتها العلمية. ولعل أهم ما تطل به على الباحثين والدارسين العدد الثاني من مجلة "دراسات معاصرة" هذه المجلة البكر التي أردناها أن تكون حقلا معرفيا وفكريا لكل إسهام علمي ارتقى مضمونه حتى يستحق درجة النشر.

وقد شهدنا ميلاد العدد الأول في مارس 2017. وها هو العدد الثاني من المجلة يرى النور وكلنا أمل في أن يكون أحسن وأنفع، وعند تطلعات الباحثين من أساتذة وطلبة.

وقد اجتهد فريق المجلة في انتقاء المواضيع المتميزة بالجدية والأصالة، والتي تلبي حاجة الدارس والقارئ. ولاسيما طلبة قسم اللغة العربية وآدابها. فتحية إجلال وتقدير لكل الباحثين الذين أثروا هذا العدد بفيض أفكارهم، فجاء العدد متنوعا من حيث الموضوعات ومن حيث الأسماء المشاركة من داخل الوطن ومن خارجه. وهي خطوة تعد بالخير وبمستقبل أفضل لهذه المجلة.

ولا يفوتنا في هذه الكلمة أن ننوه بمجهود طاقم المجلة وأسرة المخبر ككل. ونتقدم لهم بأسمى عبارات الشكر والتقدير على هذا الإنجاز، كما لا ننسى أن نطلب من القراء الكرام عدم البخل علينا بملاحظاتهم وإسهاماتهم العلمية من أجل الرقي بهذا المنبر الفكري إلى الأحسن والأفضل.

محتوى العدد:

- سيميائية السرد التراثي العربي في النقد المغربي المعاصر
- أ. د. عقاق قادة جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....10
- المتلقي بين التخيل والمحاكاة والتأثير في نظرية الشعر عند حازم القرطاجني (684هـ).
- د. فيصل أبو الطفيل جامعة القاضي عياض مراكش المملكة المغربية.....18
- الجانب الأدبي في كتابات أبي القاسم سعد الله
- أ. د. شميصة غربي جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....27
- محاولات نقل معاني النصوص المقدسة بين الترجمة الحرفية والمعنوية
- د. فتح الله محمد المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.....34
- الشعر الملحن ذاكرة الثورة الجزائرية
- د. كبريت علي جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر.....41
- الموقف التوفيقى بين الفلسفة والشرعية لابن رشد القرطبي
- د/ ن. شمناد كلية الجامعة، تروننتبرام، كيرلا، الهند.....47
- أهمية السرد في تشكيل بنية النص.
- الباحثة: عجوج فاطمة الزهراء جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....55
- معجم اللغة التاريخي وأهميته في الواقع الحضاري
- الباحثة فاطنة نهاري جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....62
- من قضايا المنهج في دراسة الأدب قراءة في كتاب "الأدب قضايا ومشكلات" ليوسف الإدريسي
- د. نجاة ذويب جامعة القيروان الجمهورية التونسية.....69
- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء
- الباحثة: خليف هوارية جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....77
- نقد الخطاب الصوفي في الشعر العربي المعاصر. قراءة في كتاب "الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر" لسعيد بوسقطة
- د. علاوة كوسة المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة الجزائر.....84
- الكتابة النقدية عند عبد المالك مرتاض
- الباحث عبد القادر كباس المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.....89

الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى المعاصر قراءة فى نص شعري

- د. شريط نورة المركز الجامعى النشرىسى تىسمسىلت الجزائر.....97
- تجليات التناص فى الرواية الجزائرية المعاصرة ثلاثية أحلام مستغانمي " أنموذجا "
- د. شريط رابح المركز الجامعى تىبازة الجزائر.....113
- تناص أم تلاص فى رواية القلادة لحمد العقابى
- أ.د. ضياء غنى العبودى الباحث: مرتضى حسىن البدرى جامعة ذى قار العراق.....117
- توظیف التراث واستدعاء الشخصیات التراثية فى شعر محمود درویش .
- د. قردان المیلود جامعة تىبازة الجزائر.....126

الجانب الأدبي في كتابات أبي القاسم سعد الله

أ.د. شميصة غربي
جامعة سيدي بلعباس
الجزائر

الملخص:

بالإضافة إلى التخصص في علم التاريخ، فقد عُرف عن هذا المؤرخ؛ ميوله إلى فنّ الأدب، حيث خَلَف الكثير من الأشعار، كما حاول دراسة الأدب الجزائري الحديث، من وجهة نظر معينة، من خلال كتابه: دراسات في الأدب الجزائري الحديث.

الكلمات المفتاحية:

أبو القاسم سعد الله، المؤرخ، الشاعر، الشعر الجزائري الحديث، الجانب الأدبي.

Abstract:

In addition to this specialization in history, he had also some tendency and intention to the art of literature.

This historian left a lot of poems; and he try to study the Algerian modern literature from his point of view through his book: studies in modern Algerian literature.

Key Words:

Abu El Kacem Saadallah. Historian. Poet. Algerian modern Poesy. Literary Aspect.

تمهيد:

رجلٌ خدم الثقافة الجزائرية؛ بامتياز... جمع بين التخصص في علم التاريخ، وبين الميول إلى فنّ الأدب، وكان بحقٍّ كوكباً أودعناه الثرى... والله درُّ القائل؛ في موضع آخر: ما كُتِّ أَعْلَمُ وهو يُودَعُ في الثرى أن الثرى؛ فيه الكواكبُ تودَعُ!

عند مناقشة الجانب الأدبي في هذه القراءة، أرى أنه من الأنسب؛ التركيز على محورين، أساسيين؛ شكلاً ذلك اللون الأدبي في كتابات أبي القاسم سعد الله، وأشهماً معاً في إبراز معالم الاتجاه الفني في الفعل الكتابي الذاتي من جهة، وإزهاصات التدفق للأعمال الفنية الغيرية من جهةٍ أخرى، على امتداد فترات زمنية متنوعة، شهدها الأدب الجزائري، والتقطها الكاتب في تدبّرٍ ووعي، قد تغلب عليها "التشجيلية" أو "التوثيقية" الجانحة إلى الاعتماد على تناول المادة الأدبية من خلال تقسيمها

إلى فترات تاريخية، وربط قيمتها الفنية بتلك الفترات؛ حتّى وإن تداخلت الفترات وصعب الفصل بينها لسببٍ أو لآخر.

المحور الأول: جانب الإبداع في كتابات الرجل، ويتعلق الأمر بنتاجه الشعري والذي كان أغلبه موزعاً على الجرائد أو مُحْتَفَظاً به في شكل كراسات لدى ذوي الشاعر وأصدقائه، حتّى أن أجُلَّ جُمُعِهِ ونشره... وفي ذلك قال المؤلف¹: «وليس غريباً أن أقول إن كثيراً من شعري قد ضاع لأسباب عديدة. من ذلك الإهمال وعدم الاحتفاظ بالنسخ منه. فقد كنت أكتب القصائد وأبعث بها إلى الجرائد في الجزائر، أو تونس، أو القاهرة، أو بيروت (...) ولولا تركيُّ لعدد من كراسات شعري عند أخي، علي سعد الله، بالقاهرة؛ ومجيئه هو بها سالمة إلى الجزائر؛ بعد الاستقلال، لَفَقَدْتُ شيئاً ثميناً في حياتي. كما احتفظ لي بالقاهرة؛ المرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني بنسخة

هل من المستبعد أن تكون بعض قصائد أبي القاسم سعد الله نواة "الهيكو" في الكتابات الجزائرية؟ ألم يقل في بعض ما قال³:

ألمح الأطياف من حولي شوادي
للزوى السكرى، لآلاف العباد
للربيع الحلو شوقاً للزهور
للهمى الزخار؛ بالذكرى وأنسام العطور
وفي موضع آخر؛ حين تغنى بالأوراس⁴:

"أوراس" والدماء والعرق
وصفحة السماء والغسق
والأفق المغموم راعف حنق
كأنه وجودي القلق
قد ظمئت عيونه إلى الفلق
وسال من أطرافه دم الشفق
ونجمة من الشمال تخرق
كقلبي الذي يدق
و"الأطلس" الأنوف والبطح
محمة الحدود بالحراج
وغابة البلوط كالأشباح
ترقصها عواصف الرياح
ثائرة محتاجة الكفاح
والنهر والنعوم والسمر
والضفة الحرساء والصخر
منتثر... وزائر القمر
يطل في حذر

في رحاب الزمن الأخضر: تكون الديوان من ثمانين عنواناً، ما بين قصيدة ومقطع وخاطرة، امتدّت على مساحة تسع وسبعين وثلاثمائة صفحة (379) دونها الشاعر في أماكن متفرقة. أغلبها نُظم في تونس، القاهرة، الإسكندرية، أمريكا (مينيا بولس)، بالإضافة إلى نصوص حدّد مكانها إما في الجزائر العاصمة، أو في قمار، الحراش، الأبيار، العين الباردة.

أما من ناحية المواضيع المطروقة بين دفتي الديوان، فقد تغدّت في أغلبها من رحيق الوطنية، وفلسفة الحرية، وعبق الوجدانيات، ولوحة الطبيعة، المنتشية حيناً؛ والغاضبة حيناً آخر. ولعل بعض الالتقاطات السريعة من الصفحات الغزيرة، تمنحنا ساحة التساؤل: لماذا أهمل الجانب الأدبي عند الرجل؟ هل "التخصص" يلغي الاهتمام بالمعرفة الأخرى لدى المثقف؟ أم أنّ الأوان لم يجنْ بعدُ للكشف عن الذائقة الفنية التي تُسجّ الذات المُبدعة من خلالها معالمها الفريدة على مستوى من

من ديواني الذي كُتبت سميته "أغاني الجزائر" ثم جاء به إلى الجزائر، وسلمه لي كاملاً سنة 1980.

المحور الثاني: جانب الدراسات الأدبية والتي خصّصها أبو القاسم سعد الله للأقلام الجزائرية في معظم كتاباته، فجاءت تاريخاً في لبوس أدب. ولم تخلُ من التفاتٍ نقدية، يحكمها الذوق، وتطبعها الجيلة الموحية بالباع الطويل في القراءة والتأمل، والتصنيف للمقروء، من وجهة نظر مُعينة، هي وجهة المؤرّخ بالدرجة الأولى.

أبو القاسم سعد الله الشاعر: إنّ المتأمل في كتابات أبي القاسم سعد الله، يكتشف -لا محالة- تلك اللمسة الفنية المضافة إلى سجلّ الأدب الجزائري في مسيرته المُشرقة حيناً، والشاحبة حيناً. في ظلّ منعطفات فكرية، سياسية، اجتماعية، تاريخية، وحتى إبداعية.

كان أبو القاسم سعد الله شاعراً فرض نفسه على الساحة الأدبية الجزائرية؛ بوقفات فنية جميلة، جسدت قصائد الديوانين: "النصر للجزائر"، "الزمن الأخضر" والذي صرّح الرجل في مقدمته قائلاً: «كثير من الناس طرحوا عليّ السؤال التالي: لماذا توقفت عن فرض الشعر؟ وأعتقد في البداية أنّ هناك أشياء ليس من السهل الإجابة عليها، فالإنسان مثلاً لا يستطيع الإجابة على السؤال: لماذا وُلِدَ؟ لماذا يموت؟ (...). هل سافري إلى أمريكا غير مجرّى حياتي؟ هل تخصّصي- في التاريخ كان السبب؟ (...). كُتبت أتابع الشعر الجزائري منذ 1947 باحثاً فيه عن نفحات جديدة، وتشكيلات تُواكب الذوق الحديث، ولكيّ لم أجد سوى صنم يركع أمامه كل الشعراء، بنغم واحد وصلاة واحدة... ومع ذلك فقد بدأت أول مرّة أنظم الشعر بالطريقة التقليدية، أي كُتبت أعبد ذات الصنم، وأصلي في نفس الحراب، ولكيّ كُتبت شغوفاً بالموسيقى الداخلية في القصيدة، واستخدام الصورة في البناء... غير أنّ اتصالي بالإنتاج العربي القادم من المشرق ولا سيما لبنان - وأطالعي على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية، والنظريات النقدية، حملني على تغيير اتجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر»²، إنه اعتراف يرسم طموح التجربة الشعرية لدى الكاتب، بضرورة التنصّل من عباءة الهيكل القديم، وتطلع الذات المبدعة إلى المسار الجديد في الشعر العربي، سواء كان ذلك على مستوى شعر التفعيلة، أو على مستوى قصيدة النثر، وقد أبلغ إذا ذهب إلى أبعد من هذا لأطرح تساؤلاً -رُبما تعسفياً- فحواه:

الشاعرية لا يمكن تجاهله، لأنّ التجاهل إنما هو إجحاف بيّن في حقّ المنظومة الشعرية الجزائرية ككلّ.

رحيق الوطنية: لم يكن أبو القاسم سعد الله بمنأى عن واقع الجزائر إبان الاحتلال، وما كان قلمه ليغفل عن تصوير موضوع الثورة في عريتها. إنه يحكي عن الثوار في نسقية شعرية متصاعدة نحو تأجيج الفعل الثوري والتّنديد بمن يتوهمّ قطع الطريق أمام أبطال الثورة. يقول⁵:

والثّائرون...

الثّائرون على الطّغاة يُناضلون
والخائنون يُقهقهون ويسخرون
ويُرَدّدون:

«الخارجون الجرمون
سيُحاكّون ويُعدمون
والشعبُ تقهره الضرائبُ والسجون»
إلى أن يقول⁶:

والكلّ يسخر بالقيود والسجون
ويُرَدّدُ اللحنَ النصيب:

«نحن القساة على الطّغاة
نحن العناة عليهم أمد الحياة
سنحطّم الأضنام... أضنام الجنّاه
ونمجّد الأبطال... أبطال الكفاح
ونعيش للأوطان آمالاً فساح
ونرى بأعيننا الوجود

نشوان مبتسم الحدود
والموكب الوطني خفاق البنود
يهتّز بالأحرار... أشبال الأسود»

تنسج الصورة، وترسخ القضية الوطنية بالتشديد على الهوية الجزائرية لهذه الأرض الطيبة، ويعلو صوت الشاعر، مُذكّراً بما قد يتناساه البعض⁷:

يا مالكين..

هذا ترابي من قديم
أسقيه ذكراي الكئيبة
أسقيه ألحان البطولة

هذا ترابي من قديم
يا مُترفين...!

تُقدّيه كلّ جوارحي ودي الحميم
يا مُترفين...
أنا هنا، أبدأ هنا

دُعراً وإعصاراً ونار
لا شيء يمنع سيلنا
في أرضنا الملائى بطافات الحصيد
سنعيش أحراراً وصيد
في أرضنا البكر... الولود!

لا يلبث الشاعر أن يلتفت إلى مَنْ حاول عزّلة المسيرة الثورية، فيرفع عقيرته مُندداً⁸:

برئت أرحامُ أرضي
وصحاري وشعبي
من زعيم خانٍ عرّضي
يحتمي بالليل كالحفّاش.. كاللصّ الوضع
وأنا أمضغُ حَقّدي

خائفاً يشرب من نهر التّجيع
ويصب القحط في حقل التّريع!
وكان لا بدّ -والحال هذه- من إيقاظ الهَمِّ؛ وشخّذ الحّاس
لدى الشعب المُكافح، المُتطلع إلى الحرية، يقول الشاعر⁹:

أيها الشعبُ الصّاعد نحو الشمس
أيها الشعبُ الصّارخ في وجه الطغيان
أنت الجبار الذي لا يغلب
أنت الصخرة العاتية
التي تصفع أمواج الاضطهاد
أنت الحضمّ الطامي
أيها الشعب...!

افتح جوفك الجهني
لينطبق على هؤلاء الأقرام...
الذين يذلونك بالسيّاط...
ويُخدّرون أعصابك الحديدية
ويؤمنونك بالوعود الزائفة...
ويمتصون دمك الحارّ

بشفاههم الغليظة...
أيها الشعب...!
إنّ الشمس لم تُغدّ تطلع على العبيد...
بعد اليوم...!

يُعرّج الشاعر على سياسة التعذيب التي مثّلها أبشع السجون... فيرمز إلى سجن "بربروس" أيقونة الدم المحفورة في الذاكرة الجزائرية... يقول¹⁰:

وهيها يا ألف قفل حديد
ويا ألف سوطٍ شديد

ويا ألف زنرانة مظلمة
سنتهار جدرانك القائمة
وأقفالك المحكمة
كأس البعيد
بأسلحة الظافرين
بأيدي غلاظ شداد
بأيدي المجموع الغضاب
تماماً كأس البعيد
فأصبحت شيئاً من الذكريات
ستغدو من... الذكريات...!

عذراً؛ يكاد ضنى الأشواق يذويها
أين الهزار؟ فهل ضنت حناجره
عن الحياة بما يدي أمانها
يا حالماً بأمني الخلد يسترها
وفي الوجود؛ أمني هو يبكيها
مجللاً بوقار الشيب تدفعه
روح التصوف رفاها بواديه
إن الشيوخ إذا لم ترو حكمتها
صدى الشباب فلا جدوى له فيها
عُد للطبيعة وابتعث حُسْنها نغماً
فإنما الشعرُ الحائِ نُغْمٌ

فلسفة الحرية: في لحظات التأمل، كثيراً ما يغيب الشاعر في رحلة من المناجاة؛ لعوالم رمزية، تُشكّل عنده الهاجس، فيحاول الاستفسار عن كينونته في واقع كالح، رغم أنه يدرك استحالة الجواب، ويمضي - قدماً في سبر أغوار الذات؛ حين تضطدم بـ "الآخر" ويضع الحلم في ومضة حارقة، يعبر عنها الشاعر بهذه الكلمات¹¹:

خدعتني...!
وعدتني أشياء كالخيال...
وعدتني جواهر السلطان...
وكنت أنت في القفص
وكان صوتك الجريح؛ لا يبين
وكنت عاشقاً مُتَمِّم الخيال
تهبّره لآلئ الشيطان...
تهبّره جراحى الكفار...
يغار عني من غريب الدار
ويركب الأخطار...!
خدعتني...!
وعدتني حُرّي
فلَمْ أجد سوى قفص...!

لوحة الطبيعة: كثيره من الشعراء، هام "أبو القاسم" بجمال الطبيعة، واعترف بقلمه من ينابيع الجمال، فجاءت صورته عاكسة للإنتشاء بسيد الفصول، "فصل الربيع" وداعبته الأمانى عند استكانة الروح وصفائها، فعبّر متغنياً¹²:

ترأث من أشعتك الأمانى
فحارت في تفلسفك المعاني
طلعت على الطبيعة وهي سكرى
بكأس الهَم لا كأس الدنان
فأشرقت الحواضر والبوادي
وأخصبت القرائح والمغاني
وظللت الحمائل عاشقها
إذا ما استسدلوا ظلّ الأمان
وهاجمهم الحنين إلى التناجي
وشاقهم الفراق إلى التنداني
فرجعت الجدائل ما شجاني
... من الأغاني....

عقب الوجدانيات: حرّ في نفس الشاعر أبي القاسم سعد الله؛ غُزوف "الهزار" - محمد العيد آل خليفة - عن الغناء. فراح يُعاتبُ ويتحسّر بل ويستفسر عن صمت محمد العيد في ظرف هو الأحقّ بالصدق. يقول أبو القاسم¹²:

مغاني الأُنس سكرى في مآسيها
وسدرة الخلد ظمأى في مغانيها
شجيرة الأفق، لا الأوتار هازجة
ولا الهزار... هزار الشعر شاديها
كأنها وظلال الأُنس كاسفة

المحور الثاني: أبو القاسم سعد الله، الدارس الأدبي لعل خير ما يُمثل الدراسات الأدبية التي تناولها أبو القاسم سعد الله، كتابه، "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" والذي طُبِع أكثر من طبعة، وصل إلى يدي منها؛ طبعان: الثانية والسابعة. الطبعة الثانية، هي التي قرأتها، صدرت عن دار الآداب سنة 1977 في حدود 133 صفحة، وفيما يلي بَسْطُ لأوتادها الرئيسة، حاول أبو القاسم في هذه الدراسة ربط الأدب الجزائري بالأحداث التي عاشها المجتمع الجزائري، فنجده مثلاً يُقسّم الشعر الجزائري الحديث إلى خمسة أقسام، اختار لكل قسم منها تسمية خاصة حسب الفترات التاريخية التي عايشها الشعراء الجزائريون وأبدعوا من خلالها، مُتَكِنين على

الواقع، ينهلون منه بوعي كبير، وبحاسن منقطع النظر، محاولين الجهر بالداء، في انتظار لحظة الدواء.

القسم الأول، حدده المؤلف من أواخر القرن الماضي إلى غاية 1925، وسماه: شعر "المنابر"، لما امتاز به من الوعظيات والإرشاد، لخدمة أهداف إصلاحية لا تقدر عليها إلا الكلمات المنبرية الداعية إلى يقظة النفوس وإلى حتمية المجاهدة في ظرف تستعصي فيه المواجعة.... وأورد في هذا المعنى نماذج شعرية عديدة، على رأسها أشعار "محمد اللقاني" الذي صاح صيحته الحارقة:

بني الجزائر! هذا الموت يكفيني لقد أغلّت جبل الجهل
أيدينا

بني الجزائر! استيقظوا فلکم أذاقنا الله والإهمال
تهوينا!

يا دهر! رفقاً بأغنام مقطعة عثى بمرعنا سيد
ليبلينا

كذلك من بين شعراء هذا القسم الأول؛ الشاعر "الجنيد أحمد المكي" الذي نقلته فرنسا إلى السودان لإدارة مدرسة هناك، فاصطدم بالأفارقة لبياض بشرته، وعندما ضاقت به السبيل، استأنس بالحيوان: الغزال "سهيل" ومما نظم فيه:

إن ملئت للعرب قالوا ألعربي وصال؟

أو ملئت للسود قالوا ذا... أبيض مختال!

يا ليت شعري! لماذا هذا القيل والمقال؟

لما رأيت نفوراً والحب داء عضال

خطبت للوحش ودأجاء منه غزال

القسم الثاني، حصره المؤلف ما بين 1925 و1936، وسماه شعر "الأجراس"؛ وصفه الكاتب "بالنغمة الجديدة" بسبب التحولات السياسية الجذرية، وميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وظهور جريدة "البصائر"، وتقدم مجلة "الشباب" في خطوات سريعة نحو الحراك الوطني المتقد في صفوف الشعب... ومن نماذج شعر الأجراس، محمد العيد آل خليفة، الذي رفع عقيرته:

أيها الشعب فيم توسع قهراً ليت شعري، لأي أمر
تقاد؟

ليت شعري، متى تُمد لك الأيدي وتُغرى بحبك
الأكباد؟

بالإضافة إلى محمد العيد آل خليفة؛ ممثّل شعر الأجراس، يستدعي أبو القاسم سعد الله، أسماء أخرى مثلت هذا الإتجاه،

فيذكر الأمين العمودي، جلول بدوي، مفدي زكريا، مستشهدا بأشعارهم السائرة في ذات السياق...

القسم الثالث، ما اصطاح عليه، بشعر "البناء"، وهو المؤطر زمنياً من 1936 إلى 1945، حيث أخذ الشعر على عاتقه، الدعوة إلى الوحدة الوطنية، والتحرر من الماضي البغيض، والتعرض بالحوثة... ويتربع على هذه المرحلة؛ كلّ من محمد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون، ومفدي زكريا. ووجود هذه الأسماء مرة أخرى في هذا القسم البناء - إنما دليل على صعوبة فصل الفترات التي اقترعها المؤلف عند دراسته لتاريخ الشعر الجزائري الحديث...

القسم الرابع، أطره الكاتب زمنياً من 1945 إلى 1954. وأطلق عليه إسم: شعر "الهدف" وكانت مجاز 8 ماي، بمثابة المنعرج الخطير في حياة الشعب الجزائري، حيث سترتق الأصوات المنادية بالحربة، وبالإصلاح من التبعية الممجية لسفّكي الدماء... وسيعلو صوت الشعراء علو العلم الزفراف، وتظهر أشياء أخرى؛ مثل الربيع بوشامة، عبد الكريم العقون، أحمد الغوالي، موسى الأحدي، حسن حوتن، الأخضر السائحي، مع الاحتفاظ بالقيادة الشعرية لمحمد العيد وأحمد سحنون ومفدي زكريا؛ في هذه المرحلة أيضاً.

القسم الخامس، حدده المؤلف بإطار زمني واحد، هو 1954، وسماه شعر "الثورة".

يمثل هذه الفترة - حسب الكاتب - أحمد الباتني، محمد صالح باويه، صالح خرفي، أبو القاسم خمار، عبد السلام حبيب، عبد الرحمن الزناقي... وقد استشهد الكاتب بأشعارهم في مقتطفات متفاوتة، أختار منها، شعر محمد صالح باويه:

قهقهة القيد برجلي يا رفاقي، حدّقوا؛ فالتأّر يجترّ ضلوعي

يا جنون الثورة الحمراء؛ يحتاج كيانني، ومغارات ربوعي

أقسمت أمّي ببيدي، بجروحي، سوف لا تمسح من عيني دمي

أقسمت أن تمسح الرّشاش والمدفع والجرح بمنديل دموعي

أقسمت أن تغسل الجرح، وتغدو شعلة تضرّم أحقاد الجموع

بعد هذا التقسيم للشعر الجزائري الحديث حسب الفترات التاريخية، يُعرج المؤلف على تغطية موضوعات الشعر الجزائري، مع ذكر الخصائص، مستلهاً ذلك من عرضه لمجموعة من النماذج، التي ارتأى فيها مثلاً حياً، يؤكّد ما ذهب إليه، فيرى أن أغلب موضوعات الشعر الجزائري مالت إلى الطابع الإصلاحي والوطني بالدرجة الأولى، كما أكد على مسألة "المناسباتية" التي خضع لها هذا الشعر. وعدّد أغراضاً أخرى إلى جانب مواضيع الإصلاح، مارسها شعراء الجزائر بكثرة

المؤلف صبغة التكوين الفني للطلبة - إن صح القول - لما كان ينشره من نماذج أدبية راقية، تثير الإعجاب، وتدعو إلى الاحتذاء.

كانت هذه قراءة حرة لمساهمة أحد بُغاء الجزائر في الصّحح بما استطاع. ويكفيه فخراً أنه كتب ودرس وخلف من المتون ما لا يستغني عنه أي باحث في التراث الثقافي الجزائري، وفي التاريخ الجزائري بالنظر إلى التخصص في هذا المجال، إنه قامة علمية فكرية أدبية، لها وزنها في الكتابات العربية الرصينة، وقديما قالوا: مَنْ حفظ المتون، حاز الفنون. وخير ما أختتم به؛ هذه الرائعة من ديوان الزمن الأخضر، والتي يُعزّد فيها¹⁴:

مِنْ اللَّهَبِ الْأَزْرَقِ
وَمِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ
وَلَوْنِ الدَّمِ الْمُهْرَقِ
سَيَصْحُو الرِّيعُ
وَتَزْهُو الْوُرُودُ الْعَذَارَى
عَلَى كُلِّ دَرْبٍ
وَفِي كُلِّ قَلْبٍ
تَمَائِيلُ فَرْحٍ
وَتِيْجَانُ حُبٍ
إِلَى الشَّهْدَاءِ...!
وَمِنْ أَغْنِيَاتِ الرِّصَاصِ
وَدَفَاقَاتِ قَلْبِ الْجُرْجِجِ
وَأَمَالِ فَرَحَتِنَا الدَّفَاقَةِ

سَيَصْحُو الرِّيعُ
وَتَشْدُو الطُّيُورُ
أَغَارِيدُهَا السَّاحِرَةِ
إِلَى الصَّامِدِينَ
فَتَهْتَزُّ لِلنَّغْمَةِ الْآسِرَةِ
قُلُوبٌ تَذُوبُ
حَنِيناً وَشَوْقاً

إِلَى فَرْحِهَا الصَّاعِدِ
إِلَى مَجْدِهَا الْوَاعِدِ...
وقوله¹⁵:

اللَّهُ لِلْجَمِيعِ...
وَالْخُبْرُ وَالْهَوَاءُ
وَالْخُبْرُ وَالسَّلَامُ
لَنَا، لَكُمْ، لِلْآخِرِينَ...
عَيُونُنَا عَيُونُكُمْ

شأنهم في ذلك شأن شعراء المشرق، مثل الرثاء، المدح، الوصف، التهاني، العتاب، الحكم، مع الإشارة إلى قلة شعر الغزل، لأسبابٍ ربطها المؤلف بوضعية البلد من جهة، و بالتقاليد والعادات من جهة ثانية، مبيناً أنّ الافتعاض من شعر الغزل؛ جاء على لسان الشاعر "محمد اللقاني"؛ الذي قال في هذا الشأن:

أَلَا فَدَحَ التَّغَزَّلَ فِي غَوَانٍ
فَتَلَكِ طَرِيقَةَ الْمُشْتَهَرِينَ
فَمِنْ صَوْتِ الْبِلَادِ لَنَا نَدَاءٌ
يَكَادُ الْمَرْءُ يَسْمَعُهُ أَهْلُنَا

أما من ناحية الخصائص العامة، فيجملها الدارس؛ في جزالة اللفظ، والحفاظة على القوالب العتيقة، والإكثار من العبارات الدينية والتاريخية، على أساس استعمال الشعراء للتضمين والاقتراس في جلّ أشعارهم. كما قارب المؤلف مسألة التأثير لدى شعراء الجزائر آنذاك ببعض المذاهب الأدبية الجديدة، مؤكدا حرص بعضهم على الاعتدال والحذر أثناء التعامل مع هذه المذاهب... كما أشار إلى تأثر الشعر الجزائري الحديث بمدرسة شوقي وحافظ والرصافي، هذه المدرسة التي فضّل العقاد تسميتها بـ "المدرسة الوُسطى" مع فارق واحد يتمثل في أن هذه المدرسة الشرقية، انتقلت إلى الجزائر؛ وارتدت ثوباً محلياً، وُصِغت بألوان جزائرية، على يد كلٍّ من محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون، مفدي زكريا، محمد اللقاني، سعيد الزاهري، الهادي السنوسي وغيرهم.

كما يدرس الكاتب، اهتمام الشعراء الجزائريين؛ بالقضايا العربية آنذاك. فيستشهد بأشعارهم حول القضية الفلسطينية، وعودة قناة السويس إلى أصحابها، ومشاركتهم في التعبير عن الأحداث الواقعة في المشرق مثل تأيين الشعراء الجزائريين؛ لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وشكيب أرسلان، وشوقي وحافظ والرصافي. واحتفاليتهم -ولو عن بُعد- بتتويج أحمد شوقي أميراً للشعراء، رغم عراقيل الاستعمار.

أما فيما يخص الكتابات النثرية في الأدب الجزائري الحديث، فقد اهتم المؤلف بعرض مضامين بعض القصص والمسرحيات، خاصة ما تعلق بأحمد رضا حوحو، أحمد بن ذياب، حمزة بوكوشة، مولود الطيب، وناقش ما أسماه: "محاولاتنا في النقد الأدبي"، فتحدث عن أبي القاسم الحفناوي، ومحمد بن أبي شنب، ومحمود كحول، ودور عبد الحميد بن باديس في التكوين العقلي للطلبة، و دور محمد البشير الإبراهيمي الذي يُعتبر رائد مدرسة الصنعة الأدبية في الجزائر، حيث أعطاه

فافتحوا صدوركم

لنا...للآخرين...!

أكتفي بذكر واحد في أربعة أجزاء: "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر". ويكفيه فخراً أنه نُعت بـ "شيخ المؤرخين". توفي الكاتب في شهر ديسمبر سنة 2013 عن عمر يناهز 83 سنة¹⁶.

الهوامش:

- 1- الديوان، صص، 11، 12.
- 2- مقدمة ديوان، الزمن الأخضر، أبو القاسم سعد الله، صص، 14، 12.
- 3- الديوان، ص 141.
- 4- الديوان، صص 195، 196.
- 5- الديوان، ص 124.
- 6- الديوان، صص 124، 125.
- 7- الديوان، صص 147، 148.
- 8- الديوان، ص 299.
- 9- الديوان، ص 191.
- 10- الديوان، ص 224.
- 11- الديوان، ص 369.
- 12- الديوان، صص 69، 70، 71.
- 13- الديوان، ص 39.
- 14- الديوان، صص 279، 280.
- 15- الديوان، ص 349.
- 16- يُنظر، معجم أعلام الجزائر، في القرنين التاسع عشر- والعشرين، الجزء الثاني، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، أيار/ ماي 2004.

أبو القاسم في سطور: مؤرخ وأديب جزائري، اشتهر بعمق التفكير، ولد سنة 1930 ببلدة قمار، ولاية الوادي، جنوب شرق الجزائر. تابع دراسته بواد سوف، حفظ القرآن الكريم، إنتقل إلى جامع الزيتونة سنة 1947، وحصل على شهادة الأهلية سنة 1954. في أكتوبر 1955 إنتقل إلى القاهرة؛ بمساعدة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تحت شعار السفر إلى الحج، والتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحصل على شهادة الليسانس في العربية والعلوم الإسلامية، ثم حصل على الماجستير في علم التاريخ والعلوم السياسية من الكلية نفسها سنة 1962. بعدها إنتقل إلى أمريكا والتحق بالجامعة وحصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، باللغة الإنجليزية سنة 1965. عاد إلى الجزائر سنة 1967، والتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وفيها أنشأ قسماً للدراسات التاريخية، وهو أول قسم في هذا التخصص، يُنشأ بالجزائر منذ تأسيس الجامعة سنة 1909. درّس في جامعة "آل البيت" بالأردن، حتى نهاية سنة 2002. إنتاجه غزير بلغ زهاء أربعين كتاباً، ففي الأدبيات له: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، رائد التجديد الإسلامي ابن العنابي، تاريخ الجزائر الثقافي، أشعار جزائرية (جمع وترتيب)، ديوان الزمن الأخضر، ديوان النصر للجزائر. في التاريخيات، كان إنتاجه وافراً مؤزّعا بين مئات المقالات والعديد من الكتب،